مجالاتُ التجديدِ الصّرفيّ عِندَ كمال بِشر «دراسةٌ وصفيَّةٌ تحليليَّةٌ»

Fields of morphological renewal according to Kamal Bishr «A descriptive analytical study»

م. د. عبد القادر عبد الرزاق هضم المَعينيّ

دائرةُ التعليمِ الدّينيّ والدّراساتِ الإسلاميّة - ديوانُ الوقفِ السُّنّيّ

Dr.. Abdel-Qader Abdel-Razzaq Hadum Al-Maeeni

Department of Religious Education and Islamic Studies - Diwan of the Sunni Endowment

abdulqadiralmainy@gmail.com

المُلَخّص

هناك من المحدثين من يرى أنَّ الصرف العربي لم ينلْ تلك العناية التي تليق بمكانته بين مستويات البحث اللغوي، وأن طرق البحث في هذا العلم فيها من الصعوبة ما أثقل كاهل الدارسين. وهذه النظرة إلى علم الصرف العربي دفعتهم إلى إعادة النظر في بعض أبواب الصرف تحت راية التيسير والتجديد .

ومن أبرز الذين نادوا بانتهاج هذا النهج الدكتور كمال بشر، وقد جاءت آراؤه في هذا الشأن متناثرة في بعض كتبه، أهمها: اللغة العربية بين القديم والجديد، وفي سلسلة كتب دراسات في علم اللغة، وعلم الأصوات، والعربية بين الوهم وسوء الفهم .

وقد اعتمدت على هذه الكتب في رسم صورة للمنهج الذي طرحه الدكتور كمال بشر لدراسة الصرف العربي .

واقتضت طبيعة البحث ومادته العلمية أن يكون على تمهيد ومبحثين، ثم يتلوها ملخص لأهم ما وصل إليه البحث من نتائج .

وقد بحثت في التمهيد جانبًا من حياة الدكتور كمال بشر وسيرته العلمية، ثم عرَّفت بالكتب موضوع الدراسة ومنهجها .

وبحثت في المبحث الأول مفهوم الصرف وميدانه عند القدماء وعند كمال بشر.

أما المبحث الثاني فقد بحثت فيه بعض المسائل الصرفية التي بحثها كمال بشر من وجهة نظره، وأخضعها لمنهجه الجديد .

وكان منهج هذا البحث وصفيًا، قد يميل في بعض المواضع إلى التحليل ؛ إذ كنت أطرح آراء كمال بشر مسبوقة بآراء من سبقه من الصرفيين، ثم أعقبها بما أراه مناسبًا من التعليق والتحليل .

الكلمات المفتاحية: مجالات، الصرفي، كمال بشر .

Abstract

There are modernists who believe that Arab morphology did not receive the attention that is appropriate for its position between the levels of linguistic research، and that the methods of research in this science is difficult to burden the burden of scholars. This view of the knowledge of Arab exchange prompted them to reconsider some of the exchange doors under the banner of facilitation and renewal.

The most prominent of those who advocated the approach of this approach، Dr. Kamal Bishr، and his views in this regard are scattered in some of his books، the most important: the Arabic language between old and new، and in a series of books in linguistics، phonology، and Arabic between illusion and misunderstanding.

These books were based on a picture of the methodology presented by Dr. Kamal Bishr for the study of Arab exchange.

The nature of the research and its scientific material necessitated a preliminary and two studies، followed by a summary of the main findings of the research.

المُقَدِّمَة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلَّمه البيان، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيِّدِ الخلقِ، وحبيبِ الحقِّ، محمدٍ النبي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغُرِّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد ...

إنَّ علمَ الصَّرف ميزان العربية، وبه تُعرَفُ أُصولُ كلام العرب من زوائدها، وأصيل مفرداتهم من دخيلها، وهو مقياس لاشتقاق ما لم يُسمَع عن العرب، وقد أدرك علماء العربية أهمية هذا العلم، فأوْلوه عنايتهم واهتمامهم، وألَّفوا فيه المؤلَّفاتِ، وأرسوا قواعده وقوانينه، وعدُّوه أشرفَ شطري العربية، وأغمضهما وأفضلهما، فكلُّ مُشتَغلٍ باللغة العربية، من لغويٍّ ونحويٍّ، هو في أمسِّ الحاجة إليه .

إلا أنَّ من المحدثين من يرى أنَّ الصرف العربي لم ينلْ تلك العناية التي تليق بمكانته بين مستويات البحث اللغوي، وأن طرق البحث في هذا العلم فيها من الصعوبة ما أثقل كاهل الدارسين. وهذه النظرة إلى علم الصرف العربي دفعت بعض المحدثين إلى إعادة النظر في بعض أبواب الصرف تحت راية التيسير والتجديد .

ومن أبرز الذين نادوا بانتهاج هذا النهج الدكتور كمال بشر، وقد جاءت آراؤه في هذا الشأن متناثرة في بعض كتبه، أهمها: اللغة العربية بين القديم والجديد، وفي سلسلة كتب دراسات في علم اللغة، وعلم الأصوات، والعربية بين الوهم وسوء الفهم .

وقد اعتمدت على هذه الكتب في رسم صورة للمنهج الذي طرحه الدكتور كمال بشر لدراسة الصرف العربي .

واقتضت طبيعة البحث ومادته العلمية أن يكون على تمهيد ومبحثين، ثم يتلوها ملخص لأهم ما وصل إليه البحث من نتائج .

وقد بحثت في التمهيد جانبًا من

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

حياة الدكتور كمال بشر وسيرته العلمية، ثم عرَّفت بالكتب موضوع الدراسة ومنهجها .

وبحثت في المبحث الأول مفهوم الصرف وميدانه عند القدماء وعند كمال بشر.

أما المبحث الثاني فقد بحثت فيه بعض المسائل الصرفية التي بحثها كمال بشر من وجهة نظره، وأخضعها لمنهجه الجديد .

وكان منهج هذا البحث وصفيًا، قد يميل في بعض المواضع إلى التحليل ؛ إذ كنت أطرح آراء كمال بشر مسبوقة بآراء من سبقه من الصرفيين، ثم أعقبها بما أراه مناسبًا من التعليق والتحليل .

وأخيرًا أسال الله عز وجل أن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به من يقرأه من بعدي .

الباحث

التمهيد

أولاً: كمال بشر

اسمه ومسيرته الدراسية :

وُلِد الدكتور كمال محمد علي بشر بمحلة دياي مركز دسوق محافظة كفر الشيخ سنة (١٩٢١م).

حفظ القرآن وجوَّده بالكُتَّاب، والتحق بمعهد دسوق الديني. ولما أنهى المرحلة الابتدائية به انتقل إلى المعهد الثانوي الأزهري بالإسكندرية لعامين، ومنه انتقل إلى معهد طنطا لينال منه الشهادة الثانوية.

والتحق بدار العلوم جامعة القاهرة ، قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وتخرج فيها بتقدير (ممتاز) سنة (١٩٤٦م)، وكان الأول على دفعته .

وحصل على دبلوم المعهد العالي للمعلمين في التربية وعلم النفس سنة (١٩٤٨م) . ثم ابتُعِث إلى إنجلترا للتخصص في علم اللغة، ومن جامعة لندن حصل على درجة الماجستير في

(علم اللغة المقارن) سنة (١٩٥٣م) وعلى درجة الدكتوراه في علم (اللغة والأصوات) سنة (١٩٥٦م) .

توفي في اليوم الثامن من شهر آب سنة (٢٠١٥) عن عمر يناهز ٩٤عاماً .

تدرجه الوظيفي :

تدرج في مراتب التعليم الجامعي فعين مدرسًا بقسم علم اللغة بكلية دار العلوم سنة (١٩٥٦م)، ثم أستاذًا مساعدًا (١٩٦٢م)، ثم أستاذًا سنة (١٩٧٠م) .

عُيِّن رئيسًا لقسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية بكلية دار العلوم سنة (١٩٦٩م)، ثم وكيلاً لها سنة (١٩٧٣م)، ثم عميدًا من سنة (١٩٧٣م) إلى سنة (١٩٧٥م)، ثم أستاذًا متفرغًا من سنة (١٩٧٨م) حتى وفاته.

تدريسه ومؤلفاته :

للدكتور كمال بشر سجل حافل من النشاط الأكاديمي؛ فهو من الرعيل الأول الذي نشر علم اللغة الحديث بالجامعات العربية، فقد نهض بتدريسه بجامعة الملك سعود، وبكلية التربية وكلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية بقطر، وبكلية الآداب بجامعة الإمارات وبجامعة الكويت، وبمعهد (بو رقيبة) للغات، هذا بالإضافة إلى تدريسه بكلية دار العلوم وبكلية الآداب والإعلام بجامعة القاهرة، وبكلية البنات وكلية الألسن جامعة عين شمس ، وبمعهد البحوث والدراسات العربية، وبمعهد الفنون المسرحية، وبمعهد الدراسات والبحوث الإفريقية.

كان الدكتور كمال بشر مدرسة في إعداد الباحثين اللغويين؛ فقد أشرف على عدد كبير منهم بكلية دار العلوم، وبكلية الآداب جامعة القاهرة، وبمعهد البحوث والدراسات العربية، وبجامعة الأزهر. وشارك في فحص الإنتاج العلمي والبحوث العلمية (للنشر أو الترقية) في مصر والسعودية والإمارات والأردن والكويت وفلسطين والبحرين.

أما نشاط الدكتور بشر في التأليف فواسع ومتنوع، وقد قُدِّر لمؤلفاته أن تُنشر

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

غير مرة، وأن تكون مراجعاً موثقة لكل الباحثين في علم اللغة، ومن كتبه:

١- قضايا لغوية، (١٩٦٢م) .

٢- علم الأصوات، نشر مرات عدة، وأعيد تنقيحه وطبعه سنة (١٩٩٩م).

٣- دراسات في علم اللغة، وهي مجموعة من الكتب ضم كلٌّ منها مجموعة من البحوث عرضت مسائل لغوية متنوعة.

٤- دور الكلمة في اللغة، وهو ترجمة لكتاب (words and their uses) وقد نُشِر أول مرة سنة ١٩٦٢م، وأعيد طبعه أكثر من خمس عشرة مرة.

٥- علم اللغة الاجتماعي، نشر أول مرة سنة ١٩٩٢م، وأعيد طبعه (منقحًا) في السنوات ٩٣، ٩٤، ١٩٩٥م.

٦- خاطرات (مؤتلفات في اللغة والثقافة)، ١٩٩٥م.

٧- اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، نُشِر سنة ٢٠٠٠م.

٨- فن الكلام، ٢٠٠٣م .

٩- صفحات من كتاب اللغة، ٢٠٠٤م.

١٠- مجمعيات، ٢٠٠٤م.

١١- إذاعيات لغوية، ٢٠٠٥م.

١٢- التفكير اللغوي بين القديم والجديد، ٢٠٠٥م.

نشاطه في الهيئات العلمية :

وللدكتور كمال بشر نشاط ملحوظ في الهيئات العلمية: فهو عضو بالمجلس القومي للتعليم، وعضو بالمجلس القومي للثقافة والآداب، وعضو بشعبة الثقافة ومقرر شعبة الآداب بالمجالس القومية المتخصصة. وعضو بلجنة التعليم الأزهري. وعضو بالمجمع العلمي المصري، ومستشار اللغة العربية بمعاهد التدريب الإذاعي والتلفزيوني ورئيس جمعية (حماة اللغة العربية).

نشاطه المجمعي :

أما نشاطه المجمعي فواسع ومتعدد: فقد اختير عضوًا بالمجمع عام ١٩٨٥م في المكان الذي خلا بوفاة الدكتور محمد

خلف الله أحمد، ثم اختير لمنصب الأمين العام للمجمع خلفًا للأستاذ إبراهيم الترزي، ثم نائب رئيس مجمع اللغة العربية، خلفًا للدكتور محمود حافظ الذي انتخب رئيسًا للمجمع في سنة **٢٠٠٥**م. وأعيد اختياره بعد ذلك ليكون الأمين العام لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية. وهو عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

ومن اللجان التي يشارك فيها بالمجمع لجنة اللهجات ولجنة الألفاظ والأساليب وهو المقرر لكلتيهما. كما أنه كان أول مقرر للجنة الثقافية بالمجمع فأشرف على عدة ندوات أقامتها اللجنة بدار المجمع، منها:

- ندوة عن الشاعر علي الجارم.
- ندوة عن الدكتور إبراهيم أنيس.
- ندوة عن قضايا الشعر المعاصر.

وجمعت هذه الندوات في كتاب بعنوان «ندوات المجمع الثقافية-.

ولا يقتصر نشاط الدكتور بشر الدائب على الجانب الأكاديمي والتأليف والعمل المجمعي بل نجده دائمًا حاضرًا ونافعًا في المنتديات العامة وفي المؤتمرات العلمية وفي الندوات الثقافية والدورات التدريبية ونشير فحسب إلى مشاركته في: مؤتمر خبراء اللغة العربية في تونس، ومؤتمر سيبويه بشيراز سنة **١٩٧٤**م، ومؤتمر (الرصيد اللغوي) بتونس، ومؤتمر تعليم اللغة العربية لغير العرب بالرياض، ومؤتمر اللغة العربية في جامعات الخليج، ومشاركته في:

- الدورات التدريبية في اللغة العربية للمذيعين بمصر **١٩٦٦**م - حتى آخر عمره.
- الدورات التدريبية في اللغة العربية للمذيعين في السعودية وقطر والإمارات العربية.
- تقديم المادة العلمية لبرنامج إذاعي خاص باسم (لغة الشعب)، والمادة العلمية للموسوعة العالمية العربية بالسعودية..

فضلاً عن إشرافه على ترجمة معجم

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

المصطلحات اللغوية ومراجعته مراجعة نهائية سنة **١٩٨٣**م.

نال تقديرًا عاليًا في مصر وفي العالم العربي. فنال جائزة الدولة التقديرية **١٩٩١**م، ونال وسام العلوم والفنون من الطبقتين الثانية والأولى. كما نال جائزة في العراق في الدراسات اللغوية عام **١٩٨٧**م.

ثانيًا: التعريف بالكتب موضوع الدراسة

ضمن الدكتور كمال بشر آراءه الصرفية التجديدية في أكثر من مؤلَّفٍ من مؤلفاته، وأهم هذه المؤلفات:

١- التفكير اللغوي بين القديم والجديد.

٢- دراسات في علم اللغة، وشملت كتابين يحملان الاسم نفسه .

٣- اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم .

٤- علم الأصوات .

وهذه الكتب هي موضوع دراستنا في هذا البحث، وسأورد تعريفًا موجزًا بها وبمحتوياتها .

١- التفكير اللغوي بين القديم والجديد

ضم هذا الكتاب بحوثًا ودراساتٍ لغوية صنعها الدكتور كمال بشر على فترات متتابعة في صورة محاضرات أُلقيت على طلاب الدراسات العليا في الجامعات العربية، أو محاضرات في مؤتمرات علمية أو لقاءات فكرية بين أهل الاختصاص .

وقد تضمن هذا الكتاب جلَّ آرائه الصرفية التجديدية، ويقع في قسمين مسبوق كلٌّ منهما بمدخل خاص .

القسم الأول: في الدرس اللغوي الحديث :

ويقع هذا القسم في مدخل وأربعة فصول . أما المدخل فقد تناول التفكير اللغوي القديم، مساره وتطوره .

وتناول الفصل الأول من هذا القسم علم اللغة مفهومه وحدوده . أما الفصل الثاني فقد تناول المدارس اللغوية الحديثة . وتناول الفصل الثالث فروع علم اللغة . وتناول الفصل الرابع مناهج الدرس في

علم اللغة .

القسم الثاني: التفكير اللغوي عند العرب :

ويقع هذا القسم في مدخل وخمسة فصول. جاء المدخل تحت عنوان (نظرات عامة) . أما الفصل الأول فقد تناول فيه مستويات الدرس اللغوي ومناهجه . وتناول الفصل الثاني الثروة اللفظية والمعنى . وتناول الفصل الثالث الدرس الصوتي . وتناول الفصل الرابع الدرس الصرفي . أما الخامس فقد جاء تحت عنوان (رأي في دراسة العربية وتقديمها للمتعلمين) .

٢- دراسات في علم اللغة

حمل هذا العنوان أكثر من مؤلَّف من مؤلفات الدكتور كمال بشر ؛ إذ كان يميز أول مؤلَّفين من هذه السلسلة بإضافة عنوانين فرعيين، هما: القسم الأول والقسم الثاني .

ثم رأى المؤلف أن يجمع بين مادة القسمين في مجلد واحد، وهو أحد الكتب التي استعنت بها في هذه الدراسة .

أما الكتاب الثاني والذي يحمل العنوان نفسه فقد صدر عام (١٩٩٦م)، وفيه ثلاثة مباحث مشتركة مع الكتاب القديم .

وهذان الكتابان عبارة عن مجموعة من البحوث التي تعرض لمسائل شتى من الدرس اللغوي . وهي في جملتها تعكس وجهات نظر معينة تبناها الدكتور كمال بشر، وهو يرى وجوب الأخذ بها في معالجة قضايا اللغة ومشكلاتها .

واحتوى الكتاب الأول على قسمين:

الأول: وتناول التفكير اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، وشمل هذا القسم التفكير اللغوي وحدوده (في الحديث)، والتفكير اللغوي وحدوده (عند العرب)، والعلاقة بين المستويات، ثم المصطلحات اللغوية، ومنهج البحث .

الثاني: وتناول فيه مسائل متفرقة، وهي: الألف والواو والياء (واي) في

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

اللغة العربية، وهمزة الوصل، والسكون في اللغة العربية، ثم ختم هذا القسم بمفهوم الصرف عند العرب .

أما الكتاب الثاني فقد جاء على سبعة مباحث:

المبحث الأول: الألف والواو والياء (واي) في اللغة العربية، والمبحث الثاني: همزة الوصل، والثالث: السكون في العربية، وثلاثة المباحث الأولى مشتركة مع الجزء السابق. والمبحث الرابع: تناول خواصاً صوتية تمتاز بها اللغة العربية، والخامس: تناول نوعية اللغة التي يتعلمها التلاميذ في المرحلة الأولى ووسائل التقريب بينها وبين الفصحى، والسادس: تناول الأخطاء الشائعة في نظام الجملة بين طلاب الجامعات، أما المبحث السابع فقد تناول التعريب بين التفكير والتعبير .

وقدارتأيت-تحرزاًمناللبس-أنأشير في هوامش هذا البحث إلى الكتاب الأول بـ (القسم الأول) وإلى الكتاب الثاني بـ (القسم الثاني).

٣- اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم

ويقع هذا الكتاب في بابين، ينتظم كل منهما فصولاً عرض فيها الدكتور كمال بشر جوانب واقع السوق اللغوية في العالم العربي، وختم كتابه بخاتمة تشير في إجمال إلى ما انتهى إليه من عوامل وأسباب أفسدت الجو اللغوي، ثم حاول في النهاية رسم خط علمي موضوعي لإصلاح المسار اللغوي العربي .

وجاء الباب الأول تحت عنوان (الواقع المعاصر للغة العربية وموقف الناس من هذا الواقع)، واشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول جاء تحت عنوان (الواقع المعاصر للغة العربية)، أما الفصل الثاني فقد حمل عنوان (المشكلة اللغوية بين الوهم وسوء الفهم)، وحمل الثالث عنوان (اللغة بين الطبع والصنع) .

وجاء الباب الثاني تحت عنوان (من مشكلات اللغة العربية)، وبه فصلان :

الأول جاء تحت عنوان (مشكلات

قديمة)، والثاني (مشكلات حديثة) .

وجاءت الخاتمة في صفحات قليلة لتشير إلى أهم المشكلات التي عولجت في الكتاب، وإلى طرائق التخلص منها مع توجيه النصح والإرشاد لكل المتعاملين باللغة العربية .

٤- علم الأصوات

وجد هذا الكتاب مكانًا فسيحًا له في دوائر العلم في الجامعات العربية جميعًا، وكان يمثل متنًا من المتون المهمة في الدرس الصوتي الحديث، وبخاصة في منهج تناول أصوات اللغة العربية .

ويقع هذا الكتاب في أربعة أبواب:

الباب الأول: علم الأصوات وجوانبه

وبه ستة فصول جاءت مرتبة على الوجه الآتي :

(علم الأصوات وجوانبه - بين الفوناتيك والفونولوجيا - الصوت اللغوي - تصنيف الأصوات - الأصوات الصامتة - الحركات) .

الباب الثاني: الأصوات العربية

وبه قسمان:

القسم الأول: الأصوات الصامتة، وبه أربعة جاءت مرتبة على الوجه الآتي:

(الوقفات الإنفجارية - الأصوات الاحتكاكية والمركبة - الأصوات المتوسطة وأنصاف الحركات - صوامت ذات سمات خاصة) .

القسم الثاني: الحركات، وبه فصلان:

الأول: الحركات العربية ومشكلاتها في القديم والحديث .

الثاني: تصنيف الحركات العربية .

الباب الثالث: في الفنولوجيا

وبه ثلاثة فصول، جاءت على الشكل الآتي:

(الفونيم - المقطع والنبر - التنغيم والفواصل الصوتية) .

الباب الرابع: علم الأصوات وموقعه في الدرس اللغوي .

وبه فصلان:

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الفصل الأول: في المجال التطبيقي .

الفصل الثاني: في المجال النظري .

المبحث الأول
مفهوم علم الصرف وميدانه عند كمال بشر

مفهوم الصرف وميدانه عند العلماء القدامى :

الصَّرف لغةً: هو ردُّ الشَّيءِ عن وجهِهِ، وَصَرَف الشيءَ أعمَلَهُ في غيرِ وجهٍ، كأنَّه يَصْرِفُهُ عن وَجْهٍ إلى وَجْهٍ، وتصاريفُ الأُمورِ تخاليفُها، ومنهُ تصاريفُ الرياحِ والسَّحابِ [1] .

ومن هذا يتبين لنا أنَّ معنى الصَّرف بصورة عامّة هو التغيير والتقليب، ولا يختلف معنى التَّصريف في اللغة عن معنى الصَّرف، فهما من أصل واحد، إلّا أنَّ التصريف أبلغ في الدلالة على معنى التغيير من الصَّرف ؛ فالصَّرف هو مصدر الفعل (صَرَفَ) الثلاثيّ، أمّا التصريف فهو مصدر الفعل (صَرَّفَ) الذي بناؤه للمبالغة والكثرة، ولذلك لم يرد مصطلح (الصَّرف) عند القدماء، بل نجد مصطلح (التصريف) سائداً في مؤلفاتهم [2]، فالتصريف يفيد معنى التغيير أكثر من إفادة الصَّرف لهذا المعنى؛ إذ إنَّ مجال هذا العلم هو تغيير الأبنية من حالٍ إلى حالٍ، كما قال ابن السراج: « سُمّيَ تصريفاً لتصريفِ الكلمةِ الواحدةِ بأبنيةٍ مختلفةٍ»[3]، ولذلك اقتضى الأمر اختيارهم مصطلحاً يدلُّ على التغيير خير دلالة، فاختاروا التصريف بدلاً من الصَّرف .

وأول ظهور لمصطلح الصَّرف نجده عند ابن المؤدِّب المتوفى بعد سنة (٣٣٨هـ) في كتابه (دقائق التصريف) إذ قال: «وبحمد الله أبتدئ، وإياه أستهدي،

(١) ينظر: لسان العرب، جمال الدين بن منظور، دار صادر: مادة (صرف): ٩ / ١٨٩ .

(٢) ينظر: الكتاب، سيبويه عمرو بن عثمان، تح: عبد السلام هارون: ٤ / ٢٤٢ .

(٣) الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي: ٣ / ٢٣١ .

وبعروته الوثقى أعتصم، وبرحمته التي وسعت كل شيء استغيث، وأمري إليه أفوض، وعليه أعول في تأليف كتاب في الصَّرف»[١].

ثم جاء عبد القاهر الجرجانيّ المتوفى سنة (٤٧١هـ) من بعده ليؤلف كتابه (المفتاح في الصَّرف)، غير أنَّه لم يكن لمصطلح (الصَّرف) نصيب في الكتاب سوى العنوان ؛ إذ استعمل الجرجانيّ مصطلح (التصريف) في كتابه حين شرح مفهوم الصَّرف بقوله: « اعلم أنَّ التَّصريفَ تفعيلٌ من الصَّرف، وهو أن تُصرِّفَ الكلمةَ المفردةَ، فتَتَولَّد منها ألفاظٌ مختلفةٌ، ومعانٍ متفاوتةٌ»[٢].

ويرى بعض الباحثين أنَّ مصطلح (الصَّرف) استُعمِلَ عند المؤلفين المتأخرين الذين يرون أنَّ الصَّرف ليس جزءاً من النحو، بل هو قسيم له [٣]، كالسكاكيّ المتوفى سنة (٦١٧هـ)، الذي استعمل مصطلح (الصَّرف) في حديثه عن الأحكام الخاصَّة ببنية الكلمة[٤]. فاستقرَّ عندهم مصطلح (النحو) باعتبار أنَّه دراسة الإعراب، وبناء الجملة في مقابل (الصَّرف) الذي يتناول بنية الكلمة .

ويرى آخرون أنَّ من استعمل مصطلح (الصَّرف) من أهل اللغة إنَّما هو مراعاة للأصل، وأنَّه اللفظ الموازن والأكثر اختصاراً للنحو، ومن استعمل مصطلح (التصريف) فبالنظرة إلى كثرة التحوُّلات المرافقة لطبيعة هذا العلم، وهو مُتَّجَهُ اللُّغَويين منذ زمن الخليل حتى زمن ابن مالك وابن الحاجب [٥] .

(١) دقائق التصريف، لأبي القاسم بن المؤدب، تح: الدكتور حاتم صالح الضامن: ٣٣ .
(٢) المفتاح في الصرَّف، لعبد القاهر الجرجانّي، تح: علي توفيق الحمد: ٢٦ .
(٣) ينظر: أسس علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي: ٦٥ .
(٤) ينظر: مفتاح العلوم، لأبي يعقوب السكاكيّ، تح: نعيم زرزور: ٨ .
(٥) ينظر: علم الصرَّف الصوتي، عبد القادر عبد الجليل: ٣٦ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

أمّا أقدم حدٍّ للصَّرف فهو ما ورد عند سيبويه في كتابه إذ قال: « هذا باب ما بَنتْ العربُ من الأسماءِ والصِّفاتِ والأفعالِ غيرِ المُعتلَّةِ والمُعتلَّة، وما قِيسَ من المُعتَلِّ الذي لا يتكلمونَ به ولم يجيء في كلامِهِم إلّا نَظيرُهُ من غيرِ بابِه، وهو الذي يُسمِّيه النحويون التَّصريفَ والفعلَ»[1].

ويبدو من هذا النصِّ أنَّ ما ذكره سيبويه هو ما أطلق عليه النحويون من بعده اسم (مسائل التمرين والرياضة)[2] أو (القياس اللغويّ) كما يسميه بعض الباحثين [3]، أو (القسم النظري أو العلميّ) كما يسميه المتأخرون .

وفسَّر السيرافيّ كلام سيبويه إذ شرح كتابه، فقال إنَّ التصريف هو: «تغييرُ الكَلِمَةِ بالحَرَكاتِ والزِّياداتِ، والقلبِ للحروفِ التي رَسمْنَا جَوازَها حتى تَصيرَ على مِثالِ كَلِمَةٍ أُخرى، والفِعلُ تَمثُلُهَا بالكَلِمَةِ ووَزنُها به، كقوله: ابنِ ليْ مِنْ ضَرَبَ مِثلَ جُلْجُل، فوَزنّا جُلْجُل بالفِعلِ فوجدناه (فُعْلُل) فقلنا: ضُرْبُب، فتغيير الضاد إلى الضم وزيادة الباء، ونَظْمُ الحروفِ التي في ضُرْبُبْ على الحَرَكاتِ التي فيها، هو التَّصريفُ . والفِعْلُ هو تمثيلُه بفُعْلُل الذي هو مِثالِ جُلْجُل» [4].

ويرى الدكتور (حسن هنداوي) أنَّ السيرافي قد أخطأ في تفسير كلام سيبويه في التصريف، وإن كان قد أصاب في فهم مصطلح (الفعل) الذي يقصد به الميزان الصَّرفيّ [5] .

أمّا المازنيّ فلم يتطرق في كتابه (التصريف) إلى مفهوم الصَّرف ولم يُشر إلى معناه، وإنما بدأ كتابه بأبنية الأسماء

(١) الكتاب: ٤ / ٢٤٢ .
(٢) ينظر: أبنية الصرَّف في كتاب سيبويه، خديجة الحديثي: ٢٤ .
(٣) ينظر: مناهج الصرَّفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع، حسن هنداوي: ٥ .
(٤) شرح كتاب سيبويه للسيرافي، تح: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي: ٥ / ١٣٤ ـ ٣٥ .
(٥) ينظر: مناهج الصرَّفيين ومذاهبهم: ١٧ .

والأفعال [١] .

وإذا جئنا إلى ابن جني نجده قد وضع للصَّرف مفهومين مختلفين؛ فهو في كتابه (المنصف) فرَّق بين الاشتقاق والتصريف، فحدَّ مفهوم التصريف بقوله: «إنَّما هو أنْ تجيءَ إلى الكَلِمَةِ الواحدةِ فتُصِّرفها على وجوهٍ شتّى، مثال ذلك أن تأتيَ إلى «ضَرَبَ» فتبني منه مثل «جَعْفَر» فتقول: «ضَرْبَب»، ومثل « قِمَطر «: « ضِرَبّ»، ومثل « دِرهمٌ»: « ضِرببٌ»، ومثل « عَلِمَ»: « ضَرِبَ»، ومثل «ظَرُفَ»: «ضَرُبَ»؛ أفلا ترى إلى تَصريفِكَ الكلمةَ إلى وُجوهٍ كثيرةٍ »[٢] .

ومن الواضح مما سبق من كلام ابن جني أنَّ مفهوم الصَّرف عنده لا يعدو كونه مسائل الرياضة والتمرين، أما في كتابه (التصريف الملوكي) فقد وضعَ للصَّرف مفهوماً آخر مختلفًا، إذ قال: «معنى قولنا التصريف هو أن تأتي إلى الحروف الأصول فتتصرَّف فيها بزيادة حرف أو تحريف، بضرب من ضروب التغيير، فذلك هو التصرُّف فيها والتصريف لها»[٣]، ثم قال بعد أن ساق الأمثلة: «وعلى هذا عامَّةُ التَّصريفِ في هذا النَّحوِ مِنْ كَلامِ العَربِ، فمعنى التصريفِ هو ما أريناكَ من التلعُّبِ بالحروفِ الأُصولِ لِما يُرادُ فيها من المعاني المُفادةِ وغيرِ ذلك»[٤].

ويظهر لنا مما سبق من كلام ابن جني في (التصريف الملوكي) أنَّ مفهوم الصَّرف عنده هو ما أفاد معانيَ جديدة بعد اجراء التغيير في الحروف الأصول، وهو ما سمّاه المتأخرون بالمعنى (العمليّ) للصرف .

أما عبد القاهر الجرجانيّ فقد حدَّ الصَّرف بقوله: « وهو أن تُصَرِّفَ الكلمةَ المفردةَ، فتتولدُ مِنها ألفاظٌ مختلفةٌ ومعانٍ

(١) ينظر: المنصف في شرح التصريف، لابن جني، تح: ابراهيم مصطفى، وعبدالله أمين: ١ / ٧ .
(٢) المصدر نفسه: ١ / ٣ ـ ٤ .
(٣) التصريف الملوكي، لابن جني، تح: محمد سعيد بن مصطفى النعسان: ٢ .
(٤) التصريف الملوكي: ٢ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

متفاوتةٌ»[١] . ويبدو من كلامه هذا أنَّه تبع ابن جنِّي في حدِّه للصَّرف في كتابه (التصريف الملوكيّ)، أي: أنَّه جعل الصَّرف محصوراً بالقسم العمليّ منه، فكلُّ ما لم يأتِ بمعنًى جديدٍ عند تصريفه ليس عنده من الصَّرف بشيء .

أمّا حدُّه عند ابن الحاجب فهو: «عِلْمٌ بأُصُولٍ تُعرَفُ بِها أحوالُ أبنيةِ الكلمِ التي ليست بإعراب»[٢].

ويبدو أنَّ ابن الحاجب قد أفلح في حدِّه هذا باحتواء قسمي الصَّرف ـ العَمَليّ والعِلميّ، فالصَّرف عنده كلُّ تغيير اعترى أبنية الكلم، سواء أنَتَجَتْ عن هذا التغيير معانٍ جديدةٌ أم لم تنتج، ثم استثنى الإعراب من هذا التغيير .

ولم يخرج من جاء بعد ابن الحاجب عن هذا المفهوم الذي رسمه للصَّرف، سوى ما نجده عند ابن عصفور ؛ إذ قسم الصَّرف على قسمين [٣]:

أحدهما: جَعْلُ الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعاني .

والثاني: تغيير الكلمة عن أصلها، من غير أن يكون ذلك التغيير دالًّا على معنًى طارئ على الكلمة .

مفهوم الصرف عند كمال بشر

أولاً: رؤيته الجديدة في دراسة الصرف العربي:

طرح الدكتور كمال بشر منهجًا مختلفًا في دراسة الصرف العربي عما جاء به الأقدمون؛ فهو يرى أن هذا العلم عند العرب «كان من أقل العلوم اللغوية من الإجادة وحسن النظر، فبعضه مستساغ مقبول، وبعض آخر يحتاج إلى معاودة البحث والدرس ويتطلب مراجعة الرأي

(١) المفتاح في الصرَّف، للجرجاني: ٢٦ .
(٢) الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط: ابن الحاجب جمال الدين عثمان بن عمر، تح: د. صالح عبدالعظيم الشاعر: ٥٩ .
(٣) ينظر: الممتع في التصريف، لابن عصفور الأشبيليّ، تحقيق: فخر الدين قباوة : ١/ ٣١ ـ ٣٢ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

فيه وفي قواعده التقليدية «[١] .

أما الغرض من طرح الدكتور كمال بشر لهذه الرؤية الجديدة في دراسة الصرف العربي فقد كان لأجل تيسيره للدارسين، وقد صرح بذلك في أكثر من موضع من أبحاثه [٢] .

ويرى أيضاً أنَّ الصرف في العرف اللغوي الحديث «أحد مستويات البحث التي تتعاون فيما بينها للنظر في اللغة ودراستها، وهذه المستويات على أشهر الآراء هي: علم الأصوات، علم الصرف، علم النحو، الدراسات المعجمية والدلالية»[٣] .

والمشكلة في دراسة الصرف العربي – كما شخصها كمال بشر – تكون في اعتماد القدماء مبدأ (وحدة الأنظمة) في تحليل المسائل الصرفية، وهو مبدأ تعوزه الدقة – على حد قوله– ويؤدي «إلى تشتيت الأحكام، وإلى التعسف والتأويل عند محاولة ضم هذه الأشتات من الأمثلة بعضها إلى بعض وإخضاعها لحكم واحد تحت مظلة نظام واحد «[٤] . ولأجل هذا طرح الدكتور كمال بشر مبدأ (تعدد الأنظمة) في تحليل المسائل الصرفية [٥] .

فالمستوى الصرفي –كما يرى– لا يمكن أن يُدرس بمعزل عن المستويات الأخرى، فوقوعه بهذا الترتيب بين المستويات ليس ترتيب أفضلية، وإنما هو ترتيب منطقي بالنظر إلى علاقة هذا العلم بالعلوم الأخرى في مستوى البحث اللغوي، فعلم الصرف يعتمد في مسائله وقضاياه على نتائج البحث الصوتي من

(١) التفكير اللغوي بين القديم والجديد: كمال بشر: ٤٢٢، وينظر: دراسات في علم اللغة: كمال بشر: القسم الأول: ٢١٩ .

(٢) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٢٧، والعربية بين الوهم وسوء الفهم: كمال بشر: ١٦٧ .

(٣) التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٢٢، وينظر: دراسات في علم اللغة: القسم الأول: ٢١٩ – ٢٢٠ .

(٤) العربية بين الوهم وسوء الفهم: كمال بشر: ١٦٦ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٦ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

جانب، وهو وسيلة وطريق من طرق دراسة التراكيب التي يقوم بالنظر فيها علم النحو من جانب آخر [١] .

ويرى الدكتور كمال بشر أن هناك حاجة ملحة إلى الرجوع إلى الحقائق التي يقررها الدرس الصوتي الحديث في دراسة الصرف، ولا سيما في مباحث الإبدال والإعلال، فمبدأ الأصل الافتراضي الذي سار عليه الصرفيون القدماء في تفسير هذه المسائل يرفضه الدرس اللغوي الحديث[٢].

ولم يرتض الدكتور كمال بشر التعريفات التي جاء بها الأقدمون لعلم الصرف، ولا طرق التأليف فيه، ففي نظره أن الجمع في التعريف والتأليف بين الصرف والنحو لم تصل بنا إلى النتائج العلمية المرجوة؛ إذ لم تكن هذه الدراسات في كثير من الأحيان ترمي إلى خدمة النحو والتمهيد لمسائله، وإنما كان ينظر إليها كما لو كانت هي الغاية في ذاتها لا وسيلة [٣] .

ويرى أيضاً أن تأخير مسائل الصرف عن مسائل النحو في المؤلفات القديمة أشد خطورة من جمعهما في مؤلف واحد؛ وذلك لسببين [٤] :

١- أن تأخير دراسة الصرف عن النحو قد يوحي بأن الصرف أقل منزلة عن النحو، فالخطأ في الصيغ أو في أية مسألة صرفية لا يقل خطورة عن الخطأ في الإعراب .

٢- تأخير الكلام عن الصرف يذهب بالغرض الأساسي لدراسته، وهو أنه خادم للنحو وممهد له .

وليست المشكلة عند الدكتور كمال بشر جمع الصرف والنحو في مؤلف واحد وإنما المشكلة تكمن في تقديم

(١) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٢٢ .
(٢) ينظر: علم الأصوات: كمال بشر: ٦٠٧ - ٦٠٨ .
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٢٥ .
(٤) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٢٦ .

مادة الصرف للمتعلمين منعزلة، ودون اعتمادها مكونات للتركيب التي تقيم بناءه، وتحدد خواصه؛ إذ تصبح مفردات الصرف حينئذٍ أشبه بلبنات أو أحجار متفرقة هنا وهناك، من شأنها أن تهمل، أو يغفل المتعلم قيمتها الحقيقية في التركيب [١]، فالصرف عند كمال بشر « ليس له استقلال بذاته، وإنما هو مقدمة للنحو أو جزء من الدرس ممهد له»[٢] .

ثانياً: حدُّ الصرف ومادته عند كمال بشر :

قد علمنا أن الصرف عند المتأخرين من القدماء كان يقسم على قسمين: عملي ونظري، ومن وجهة نظر الدكتور كمال بشر أن الجانب العملي من هذا العلم هو فقط ما يصح أن نطلق عليه تسمية (الصرف)، فالصرف عنده « كل دراسة تتصل بالكلمة أو أحد أجزائها وتؤدي إلى خدمة العبارة والجملة أو – بعبارة بعضهم – وتؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية »[٣]، أو هو «تلك الدراسة التي تعرض لدراسة الكلمات وصورها لا لذاتها، وإنما لغرض معنوي أو للحصول على قيم صرفية تفيد في خدمة الجمل والعبارات»[٤] . فكل تغيير في اللفظ لا يخدم المعنى فعنده ليس من الصرف بشيء.

وهذا المنهج الذي طرحه الدكتور كمال بشر في دراسة الصرف العربي ليس بجديد على ميدان الصرف العربي؛ إذ طرحه من قبل عبدالقاهر الجرجاني في كتابه (المفتاح في الصرف). وقد سبق ذكر كلامه في هذا الشأن في مفهوم الصرف عند القدماء .

أما عن مادة هذا العلم عنده فهي

(١) ينظر: العربية بين الوهم وسوء الفهم: ١٦٣، والتفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٢٧ .

(٢) العربية بين الوهم وسوء الفهم: ١٦٢ .

(٣) دراسات في علم اللغة، القسم الأول: ٢٢١، وينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٢٣ .

(٤) دراسات في علم اللغة، القسم الأول: ٢٣١ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الوحدات الصرفية أو المورفيمات، أو المعاني أو القيم الصرفية التي تكتسبها الصيغة بتغييرها في صورة جديدة، أو الخواص الصرفية للكلمات التي يترتب على وجودها وجود خواص معينة في الجمل والتراكيب [١] .

وهذه الوحدات الصرفية قد تكون كلمة مثل (قال، نصر، ضرب)أو جزءا من كلمة، في بدايتها أو وسطها أو نهايتها، كحروف (أنيت)، أو تكون المغايرة بين الصيغ كالاختلاف بين الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول، أو قد تكون الوحدة الصرفية عبارة عن فونيم، كالواو في نحو (ضربوا) فهي دلالة على الجمع، ولكنها فونيم فهي ضمة طويلة [٢]، وقد تكون هذه الوحدة الصرفية (لاحقة صفرية)، كما في خلو الفعل الماضي من تاء التأنيث أو واو الجماعة أو ألف الإثنين، في قولنا: محمدٌ حضرَ، دلالة على تذكير الفعل وإفراده [٣].

ثالثاً: ميدان الصرف عند كمال بشر:

قسم الدكتور كمال بشر الصرف التقليدي على نوعين [٤] :

الأول: شمل أبواباً وبحوثاً هي من صميم الصرف، وهذه الأبواب تتمثل بالقسم العملي من الصرف وهو كل ما يعرض لدراسة الكلمات وصورها لا لذاتها، وإنما لغرض معنوي يخدم الجمل والعبارات .

وأهم أبواب هذا النوع: تقسيم الكلمة من حيث الأسمية والفعلية وغيرهما، والنظر إليها من حيث العدد (الإفراد والتثنية والجمع)، والنظر إليها من حيث النوع (التذكير والتأنيث)، والكلام على

(١) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٢٣، ٤٢٩، ٤٣٠ .

(٢) ينظر: دراسات في علم اللغة، القسم الأول: ٢٢٠- ٢٢١، والتفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٢٣ .

(٣) ينظر: دراسات في علم اللغة، القسم الثاني: ١٨٢ .

(٤) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٣١ وما بعدها .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الشخص (المتكلم والخطاب والغيبة)، والمشتقات، وتقسيم الفعل إلى أزمنته المختلفة، والتعريف والتنكير وأقسامهما، والمتعدي واللازم، والمتصرف والجامد، والتصغير، والنسب، والمغايرة في الصيغ كالمبني للمعلوم والمبني للمجهول.

فالبحث في هذه الأبواب والمسائل بحث من صميم الصرف؛ إذ يؤدي إلى خدمة الجملة والعبارة، ويؤدي إلى اختلاف المعاني النحوية، بسبب اختلاف القيم الصرفية .

الثاني: ويشمل أبواباً ومسائل من الصرف التقليدي، وهي تلك التي تعني بالنظر في الكلمة من الزيادة والأصل، والأوزان والأبنية، وما إلى ذلك من تغييرات تجري على الكلمة ليست ذات قيم صرفية، ولا تؤدي إلى خدمة العبارة أو اختلاف المعاني النحوية.

وهذه الأبواب والمسائل يرى كمال بشر أن منها ما يجب اطّراحه وتركه لعدم جدوى البحث به، كالبحث في أصل همزة (صحراء) وما أشبهها، فهذا النوع من الأمثلة في نظر كمال بشر نوع من التمحك والتمحل اللفظيين وافتراض جدلي عقيم خالٍ من أية فائدة عملية على أي مستوى من مستويات البحث في اللغة، والكلام فيه نوع من الترف العلمي الذي لا نستطيعه في وقتنا هذا.

ومنها ما كان متن اللغة أولى بها من الصرف، كأوزان الفعل الثلاثي المجرد، وصيغ جمع التكسير.

أما اوزان الفعل الثلاثي المجرد فيرى أنها تدخل في باب آخر غير باب الصرف؛ فهي من قضايا الثروة اللفظية أو من مباحث متن اللغة والمعجمات، فهي ليست ذات قيم صرفية تخدم العبارة أو الجملة، ولكنها ذات قيم لفظية تفيد معرفتها معرفة ألفاظ اللغة على وجهها الصحيح نطقاً ودلالة معجمية .

ويرى الدكتور كمال بشر أن هذه الأوزان ما زالت صورها تتأرجح بين حالة وأخرى، وأن هذه الأوزان قد تم

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

ضبطها وتثبيتها في لغة القرآن على الرغم من أن كتب اللغة ظلت تذكر اللغات المختلفة في وزن الأفعال التي اختلفوا فيها؛ فالفعل (فسد) هو من باب (نصر) عند قوم، وهو من باب (كَرُم) عند قوم آخرين .

وأما صيغ التكسير فيرى أن تنوعها لا يحمل أية قيمة صرفية ولا يترتب على استعمال صيغة من هذه الجموع دون أخرى أي تغيير في المعاني أو فائدة للعبارة، قال: « إنَّك لو استعملت صيغة من جمع التكسير معينة دون أخرى ما ترتب على ذلك شيء في الجملة، وما اختلفت المعاني النحوية بحال من الأحوال . تقول: شيوخٌ عقلاء وأشياخ عقلاء، وبحوث جيدة وأبحاث جيدة، دون أن تجد فروقاً نحوية أو معاني في أيٍّ من التركيبين بالرغم من اختلاف الصيغتين»[1] .

ويرى الدكتور كمال بشر أنَّ ورود هذه الأبنية على هذا التقسيم إنّما هو من صنيع النحويين أنفسهم، قال: «وربما سوغ صنيعهم هذا الذي سلكوه ما رأوه من ضخامة العدد في صور جمع التكسير وتنوعها الكبير، فحاولوا اخضاعها لشيء من التقعيد أو التقنين، تسهيلاً على الدارسين والمتعلمين»[2] .

وفيما أرى أن لا صحَّة لما ذهب إليه الدكتور كمال بشر ؛ ذلك أنَّ تقسيم أبنية جموع التكسير إلى قلَّة وكثرة هو ليس من صنيع النحاة كما يدَّعي، بل إنَّ العرب أنفسهم هم الذين ارتضوا هذا التقسيم، ويدلُّ على ذلك ما رواه المرزباني المتوفى سنة (٣٨٤هـ) من نقد النابغة الذبياني لشعر حسان بن ثابت (رضي الله عنه)، إذ قال: « حدثنا عبد الملك بن قريب، قال: كان النابغة الذبياني تضرب له قبّة حمراء من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض

(١) دراسات في علم اللغة، القسم الأول: ٢٣٧ .

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٧ .

عليه أشعارها. قال: فأول من أنشده الأعشى: ميمون بن قيس أبو بصير، ثم أنشده حسان بن ثابت الأنصاري:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضّحى ...
وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بني العنقاء وابني محرّق ...
فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فقال له النابغة: أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت، ولم تفخر بمن ولدك»[١] .

فلولا أنَّ دلالة القِلَّة والكثرة في هذه الأبنية حاضرةٌ في أذهانهم لما انتقد النابغة حسّانًا في هذين البيتين .

وكذلك ورود ألفاظ جمع التكسير في القرآن الكريم على أبنية القِلَّة والكثرة يدلُّ على اختلاف دلالاتها في كلِّ موضع، فمن الأمور المسلَّم بها أنَّ كلَّ لفظة وردت في القرآن لها دلالتها التي لا تُغني عنها لفظة أخرى لو استبدلت محلَّها . وهذا ما أثبته الأُستاذ الدكتور (فاضل السامرائي) حين تكلَّم على استعمال القِلَّة والكثرة في قوله تعالى:﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾[٢]

وقوله تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٢٠﴾[٣] .

قال الدكتور فاضل السامرائي: «فجمعُ النعمة في آية النحل جمعُ قِلَّةٍ «أنعُم» وجمعها في لقمان جمع كُثرة «نِعَمِه»؛ وذلك أنَّ نِعَمَ الله لا تُحصى فلا يطيق الإنسان شكرها جميعاً، ولكن قد يشكر قسماً منها، ولذلك لمّا ذكر إبراهيم وأثنى عليه قال: إنَّه شاكرٌ لأنعُمِه، ولم يقل: لِنِعَمِه ؛ لأنَّ

(١) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني، تح: محمد حسين شمس الدين: ٧٥ – ٧٦ .

(٢) سورة النحل: الآية (١٢٠ ـ ١٢١) .
(٣) سورة لقمان: الآية (٢٠) .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

شكر النِعَم ليس في مقدور أحد، بل إنَّ احصاءها ليس في مقدورِ أحدٍ، فكيف بشكرها ؟ !، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ النحل: ١٨ .

وأمّا الآية الثانية فهي في مقام تعداد نِعَمِهِ وفضله على الناس فقال: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ﴾ فذكرها بزِنَة جمع الكُثرة»[1] .

ويرى الدكتور كمال بشر أن أوزان جموع التكسير يمكن أن تعالج في ميدان الصرف من جهتين [2]:

الأولى: إذا بُحِثت في مقابل المفرد والمثنى ؛ إذ إنها كونها جمعاً تختلف دلالتها عن دلالة المفرد والمثنى .

الثانية: جواز معاملتها بصورتين مختلفتين من حيث أحكام المطابقة في العدد والنوع، تقول: (الرجال جاءوا، والرجال جاءت) حيث عاملت الجمع في المثال الأول معاملة جمع المذكر، ولكنك عاملته في المثال الثاني معاملة المفردة المؤنثة، والصيغتان جائزتان .

الثالث: شمل الصرف التقليدي أنماط صيغ يرى الدكتور كمال بشر أنها أقرب إلى علم الأصوات منها إلى الصرف، ولا بد من اخضاعها لمبدأ تعدد الأنظمة في البحث اللغوي، وعدم اخضاعها لمبدأ وحدة الأنظمة القائم على التأويل والتخريج والافتراض، لجمع شتات الأمثلة تحت قاعدة واحدة .

ومن الأمثلة التي ضربها لهذا النوع من المسائل صيغة (افتعل) إذا كان فاء الفعل منها أحد أحرف الإطباق [3]، ومجال البحث في هذه المسألة سيكون في المبحث الثاني إن شاء الله .

الرابع: يرى أن هناك أبواب في الصرف التقليدي عولجت علاجًا غير

(١) التعبير القرآني: د. فاضل السامرائي: ٤١ .
(٢) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٤١ .
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٤٤٢ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

دقيق، ومن هذه الأبواب باب الفعلين الأجوف والناقص.

المبحث الثاني
مسائل صرفية في ضوء منهجه الجديد

أخضع الدكتور كمال بشر بعض المسائل الصرفية الموجودة في الصرف التقليدي إلى منهجه الجديد في البحث اللغوي، وقد بين في هذه المسائل خطأ الصرفيين القدماء في طريقة بحثها، وهذه المسائل هي:

أولاً: الأفعال الجوف والناقصة:

ذهب الصرفيون القدماء إلى أن الواو والياء إذا وقعتا عيناً وكانا متحركين وانفتح ما قبلهما يقلبان ألفاً مثل (قال، وباع)[١]، قال ابن يعيش: «قد أُبدلت الألف من أربعة أحرف، وهي: الواو والياء، وهما المراد بقوله أختيها، ومن الهمزة والنون. وإنّما كانت الواو والياء أختيها لاجتماعهنّ في المدّ وإبدالها منهما، نحو قولك: «قال»، و«باع»، وأصله: «قَوَلَ»، و«بَيَعَ»، فقلبوا الواو والياء ألفًا لتحرّكهما وانفتاح ما قبلهما»[٢].

وقال أيضًا: «لا يخلو حرفُ العلّة إذا كان ثانيًا عينًا من أحوال ثلاثة: إمّا الاعتلالِ، وهو تغييرُ لفظه؛ وإمّا أن تحذفه؛ وإمّا أن يسلم، ولا يتغير. والأول أكثرُ، وإنّما كثُر ذلك لكثرة استعمالهم إياه، وكثرةِ دخوله في الكلام، فآثروا إعلالَه تخفيفًا، وذلك في الأفعال والأسماء، ولا يخلو حرفُ العلّة من أن يكون واوًا أو ياءً»[٣].

(١) ينظر: المنصف في شرح التصريف: ١/ ٢٦٧، وشرح المفصل: موفق الدين بن يعيش، تح: مجموعة من شيوخ الأزهر ١٠ / ١٦، وشرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، تح: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد: ٣/ ٩٥ .

(٢) شرح المفصل: ١٠ / ١٦ .

(٣) المصدر نفسه: ١٠ / ٦٤ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وقال ابن الحاجب: « تقلبان ألفاً إذا تحركتا مفتوحاً ما قبلهما أو في حكمه، في اسم ثلاثي، أو فعل ثلاثي، أو محمول عليه، أو اسم محمول عليهما، نحو: باب وناب وقام وباع وأقام وأباع واستقام ...»[1].

وتحذف عين هذه الأمثلة في الأمر وعند جزمها في المضارع، قال ابن يعيش: «اعلم أنّ ما كان ثانيه حرفَ علّة، فإنه قد يعتل بالحذف كما يعتل بالتغيير، والحذفُ يدخله على ثلاثة أضرب: منها التقاء الساكنين، والتخفيف، أو لضرورة الإعلال. فالأولُ نحو: «قُلْ»، و«قُلْنَ»، .... سكن لامُ الفعل للأمر، أو لاتّصال نون جماعة النساء به، نحو: «قُلْنَ»، فالتقى حينئذ ساكنان: اللامُ وحرفُ العلّة، فحُذف حرف العلّة لالتقاء الساكنين على القاعدة. ومثلُه: «بِعْ» و«بَعْنَ»، العلّةُ في الحذف واحدةٌ، إلاّ أنّ «قُلْ» من الواو، و«بِعْ» من الياء»[2].

وافترض القدماء وجود أصل لهذه الأفعال يخضع لقواعد الأبنية التي وضعوها، فأصل الفعل «قال»: قَوَلَ، بفتح العين، وحجتهم في ذلك أن المضارع منه (يقول) بضم عين الفعل، فهو على مثال (نَصَرَ ينصُر)، قال ابن يعيش: « فإن قيل: ومن أين زعمتم أنها «فَعَلَ» بفتح العين؟ قيل: لا يجوز أن يكون «فَعِلَ» بالكسر؛ لأنّ المضارع منه على «يَفْعُلُ» بالضمّ؛ نحو: «يَقُول»، و«يعود»، و«يقوم»، و«يطوف»، والأصل: «يَقْوُلُ»، و«يَقْوُدُ»، و«يَقوُمُ»، و«يَطْوُفُ»، فنقلوا الضمّة من العين إلى الفاء»[3].

أما كمال بشر فيرى أن معالجة الأفعال الجوف والناقصة في الصرف العربي فيه اضطراب، الأمر الذي أدى إلى تجاوز في اصدار الأحكام واستخلاص القواعد

(١) شرح شافية ابن الحاجب: ٣ / ٩٥ .

(٢) شرح المفصل: ١٠ / ٦٨ .

(٣) المصدر نفسه: ١٠ / ٦٤ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الخاصة بها [١].

وانتقد كمال بشر مبدأ الأصل الافتراضي الذي أعتمد عليه الصرفيون القدماء في تحليلهم لهذه الأمثلة، ويرى أن هذا الأصل مُتوهَم لا حقيقي، وأن الذي دعاهم إلى تبني هذا المبدأ «هو خضوعهم لمنهجهم العام وهو سيطرة فكرة الأصول على أذهانهم، ومحاولة حشد مختلف الأمثلة تحت قاعدة واحدة أو تحت نظام واحد من البحث. فإذا لم تنطبق القاعدة انطباقًا تامًا على بعض الأمثلة فإنهم يحاولون إرجاع هذه الأمثلة إلى تلك القاعدة ولو بطريق التأويل الافتراضي»[٢].

وقد طرح كمال بشر ثلاث طرق للبحث في هذه المسائل، تاركًا للباحث الخيار في سلوك أيها شاء [٣] :

الأول: طريق وصفي يعني بتسجيل الحقائق الموجودة في الصيغة في اطار منهج يسمى التحليل الصوتي – الصرفي، دون تأويل أو افتراض. وبمعونة الدراسات الصوتية يظهر أن (قال) تختلف في تركيبها الصوتي عن (نصر)، فـ(قال) تركيبها الصوتي هو:

/ص ح ح/ ص ح/.

أما (نَصَرَ) فتركيبها الصوتي هو: /ص ح/ ص ح / ص ح/، فالأولى مكونة من مقطعين، والثانية من ثلاثة مقاطع، وكذلك وجود فرق في كمية بعض المقاطع بين الصيغتين .

فعلى هذا يكون وزن «قال» و«باع»: (فال)، أما «نصر» فوزنها (فعل)، ويرى كمال بشر أن هذا الفرق الصوتي يشير إلى وجوب معاملة الصيغتين معاملة صرفية مختلفة، لا اخضاعهما إلى قاعدة واحدة، واتباع مبدأ (وحدة الأنظمة) في علاجهما.

(١) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٣٢٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٤٤٨، وينظر: دراسات في علم اللغة، القسم الأول: ٢٤٣ – ٢٤٤ .

(٣) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، والعربية بين الوهم وسوء الفهم: ١٦٦–١٦٧.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الثاني: طريق المنهج التاريخي، ويقصد به تتبع تاريخ الصيغ المختلفة لمعرفة ما أصابها من تغيير عبر فترات التاريخ المختلفة .

وهو بسلوكه هذا المنهج يطرح احتمالاً مفاده أن (قال) كانت تنطق (قَوَل) في فترة من الزمن، ثم لها تطور في صوت العلة أدى إلى هذه الصيغة الحاضرة، ويرى أن هذا الاحتمال له ما يؤيده على أرض الواقع، وهو وجود بقايا لهذا الأصل التاريخي في الأفعال المشابهة للفعل (قال) وكان حقها الإعلال لكنها جاءت مصححة كالفعلين (أطول، واستحوذ)، وكذلك ما جاء مصححًا من صيغ اسم المفعول التي حقها الإعلال في بعض اللهجات، كقولهم: (مبيوع، ومديون) . ولذا يرى أن لا حاجة إلى التأويل والافتراض في تأويل هذه الأمثلة .

الثالث: انتهاج مبدأ ازدواجية البنية؛ إذ يرى كمال بشر أن «لا مانع من تحليل هذين المثالين ونحوهما بانتهاج مبدأ ازدواجية البنية؛ فبنيتهما العميقة هي «قول وبيع»، أما بنيتهما السطحية هي «قال وباع»، وهذا الجواز مقصور على حالة الأخذ بالمنهج العام المعروف بالمنهج «التوليدي التحويلي» «[1] .

والواضح من كلام الدكتور كمال بشر أنه يجيز استعمال منهج «الافتراض والتأويل» الذي سار عليه الصرفيون التقليديون مع المناهج السابقة التي طرحها في معالجة هذه الأمثلة، ولكنه قيد هذا الاستعمال بقوله: « ولكن جواز أي من هذه الاتجاهات الأربعة مشروط بسياقه، أي بكونه مثلاً أو لبنة من لبنات منهج عام واحد معين: المنهج التاريخي، المنهج التوليدي التحويلي، منهج الافتراض والتأويل، المنهج البنوي الوصفي «[2].

ولا يخفى على أحد ما في هذا الكلام من خلط ونقض لرأيه الأول الذي انتقد

(١) العربية بين الوهم وسوء الفهم: ١٦٧ .
(٢) العربية بين الوهم وسوء الفهم: ١٦٧ .

فيه الصرفيين التقليدين في تبنيهم مبدأ «الافتراض والتأويل»، بحجة ما فيه من التوهم ومحاولة حشد الأمثلة المختلفة تحت سقف واحد [١] .

أما (قُلْ)، فيرى أنها جاءت على هذه الصورة منذ بداية الأمر طبقًا لقواعد النطق الصحيح، ولم تأتِ بالصورة الثانية (قول) لعلة صوتية ارتبطت بخواص التركيب المقطعي في العربية الفصحى؛ فالتركيب: (ص ح ح + ص) تركيب ممتنع في اللغة العربية إلا في حالتين اثنتين هما:

١- حالة الوقف .

٢- أن يكون الصامت الأخير مدغمًا في مثله، وكان المتماثلان أصليين في الكلمة نحو: ضالِّين: ص +ح ح + ص / ص + ح ح + ص .

دابَّة: ص +ح ح + ص / ص + ح + ص . على الوقف بالهاء [٢] .

وفعل الأمر من (قال) ومضارعه المجزوم بالسكون لا يدخل في هاتين الحالتين، فطبيعة التركيب المقطعي منعت وقوع الصيغة (قول) فعل أمر، ولم يحذف شيء من هذه الصيغة، وإنما قُصِّرت الضمة الطويلة المتمثلة في الواو [٣] .

والذي أراه أن مبدأ تعدد الأنظمة واطّراح مبدأ الأصل الافتراضي في دراسة هذه الأفعال ونحوها، لا يسهل شيئًا من صعوبة هذه الأمثلة على الدارسين كما أراد له كمال بشر؛ بل بالعكس من ذلك، فهو يشتت هذه المسائل ويفرقها، مما يصعب دراسة هذه الأمثلة ونحوها؛ إذ أصبحت لا تخضع لقاعدة واحدة كما كانت في ظل مبدأ (الأصل الافتراضي)، وهذا ما ينقض الغاية التي طرح لأجلها كمال بشر هذه الأفكار، ألا وهي التيسير

(١) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٤٥، وعلم الأصوات: ٦٠٨ .

(٢) ينظر: علم الأصوات: ٦٠٧ - ٦٠٨، والتفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٤٦ .

(٣) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٤٦ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

والتسهيل .

ثانيًا: الإبدال في صيغة (افتعل):

ذهب الصرفيون القدماء إلى أن تاء الافتعال تبدل طاءً اذا كانت الفاء أحد أحرف الأطباق الأربعة (الطاء والظاء والصاد والضاد)، وتبدل دالاً إذا كانت الفاء (زاي، أو ذال، أو دال)[١]، وتبدل فاء الافتعال تاءً إذا كانت واواً أو ياءً [٢] .

والعلة في ابدالها من الطاء شرحها ابن يعيش بقوله: «والعلّةُ في هذا الإبدال أن هذه الحروف مستعليةٌ فيها إطباقٌ، والتاء حرف مهموس غيرُ مستعلٍ، فكرهوا الإتيانَ بحرف بعد حرف يُضادّه وينافيه، فأبدلوا من التاء طاء؛ لأنّهما من مَخْرج واحد»[٣] .

أما ابدالها دالاً فقد عللها ابن يعيش بقوله: «فلمّا كانت الزاي مجهورةً، والتاء مهموسةً، وكانت الدال أختَ التاء في المَخرج، وأختَ الزاي في الجهر؛ قرّبوا صوتَ أحدهما من الآخر، وأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها بالزاء، وهي الدال، فقالوا: «ازدجر»، و»ازدان»»[٤].

أما العلة في إبدال فاء الافتعال تاء إذا كانت واواً أو ياءً فهي: «لأنّهم لو لم يقلبوها تاء هنا، لزمهم قلبُها ياءً إذا انكسر ما قبلها، نحو: «ايتَعَدَ»، و»ايتَزَنَ»، و»ايتَلَجَ»، وفي الأمر: «ايتَعِدْ»، و»ايتَلِجْ»، و»ايتَزِنْ». وإذا انفتح ما قبلها قُلبت ألفًا، نحو: «ياتَعِدُ»، و»ياتَلِجُ»، وذلك على لغة من يقول في «يَوْجَلُ»: «يَاجَلُ»، ثمّ تردّها واوًا إذا انضمّ ما قبلها. ولمّا رأوا مَصِيرهم إلى تغيُّرها لتغيُّر أحوالِ ما قبلها، قلبوها إلى التاء؛ لأنها حرفٌ جَلْدٌ قويٌّ لا يتغير بتغيُّر أحوالِ ما قبله، وهو قريبٌ المَخْرج

(١) ينظر: الكتاب: ٤ / ٢٣٩ – ٢٤٠، وشرح المفصل: ١٠/ ٤٦ – ٤٧ – ٤٨، وشرح شافية ابن الحاجب: ٣/ ٢٢٦– ٢٢٧ .

(٢) ينظر: شرح المفصل: ١٠/٣٦–٣٧، و شرح شافية ابن الحاجب: ٣ / ٨٠ – ٨١ .

(٣) شرح المفصل: ١٠ / ٤٦ .

(٤) المصدر نفسه: ١٠ / ٤٨ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

من الواو، وفيه همسٌ مناسبُ لِينِ الواو، ليُوافِقَ لفظه لفظَ ما بعده، فتُدّغم فيها، ويقع النطقُ بهما دفعةً واحدةً»[١] .

أما كمال بشر فيرى أن تفسيرهم هذا لهذه الظاهرة يتمشى مع منهجهم ومنطقهم في معالجة قضايا الصرف، ذلك التفسير الذي يتسم بسمتين واضحتين [٢]:

الأولى: إيمانهم بفكرة الأصل، وأن لكل الصيغ المتشابهة أصل ثابت ترجع إليه بطريق مباشر، فإن تعذر ذلك افترضوا وأولوا وأرجعوها إلى أصلها بطريق غير مباشر.

الثانية: محاولة حشدهم الأمثلة المتفقة في شيء والمختلفة في شيء آخر تحت نظام واحد، أو اخضاعها لميزان واحد، «فابتكر» و«اصطبر» كلاهما عندهم على وزن «افتعل»، وكلاهما يرجعان إلى أصل ثلاثي .

والحل عند كمال بشر هو أن تعالج هذه الأمثلة باتباع مبدأ «تعدد الأنظمة»، مخالفين منهج الصرفيين التقليديين الذي يقوم على أساس «وحدة الأنظمة»، وأن ينظر إليها بحالتها الراهنة، ووصف ما بها من ظواهر دون اخضاعها إلى وزن «افتعل» [٣].

ويرى أن المنهج الوصفي ومبدأ تعدد الأنظمة في معالجة هذه الأمثلة لا يقوم إلا على تفسير علمي معتمد على أسس صوتية اقتضتها خواص الصيغ المذكورة، فالتفسير عنده هو أن السياقات الصوتية الآتية مستحيلة في العربية [٤] :

صوت مطبق + ت، والمستعمل هو: صوت مطبق + ط .

د، ذ، ز + ت، والمستعمل هو: د، ذ (وتقلب دالاً) أو ز + د .

(١) المصدر نفسه: ١٠ / ٣٧ .
(٢) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٤٣ .
(٣) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٤٣ .
(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٤٤٤ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

همزة وصل + و + ت والمستعمل هو: همزة وصل + ت + ت .

همزة وصل + ي + ت والمستعمل هو: همزة وصل + ت + ت .

أما الطريق الثاني الذي اقترحه في معالجة هذه الأمثلة فهو المنهج التاريخي، على افتراض أن هذه الصيغ قد نطقت في فترة زمنية ما (افتعل) من دون إبدال، كأن تكون «اصطبر» كانت تنطق: «اصتبر»، و«ازدهر»: ازتهر، و«اتعد»: أوتعد، و«اتسر»: أوتسر، ثم أصابها تغيير وصل بها إلى حالها، فيتم معالجتها بتسجيل صورها التاريخية، وصورها الحاضرة، ثم القيام بالمقارنة بين الفترتين [1] .

ثم افترض أن هناك من يعترض على هذا المنهج فيقول: أن الصرفيين سلكوا مثل هذا المنهج التاريخي؛ إذ افترضوا لهذه الصيغ أصلاً. فيجيب على هذا الاعتراض بقوله: «إن الأصل الذي قدروه أصل افتراضي لا أصل تاريخي. فما فعلوه إذن ليس وصفاً لمرحلتين وإنما هو إرجاع صورة حاضرة إلى صورة مفترضة متوهمة، وقصدوا بذلك تفسير ظاهرة لم يستطيعوا تفسيرها تفسيرًا علميًا سليمًا»[2].

ثالثًا: إبدال الهمزة في (خطايا) ونحوها:

للصرفيين القدماء في إبدال الياء من الهمزة العارضة في جمع ما كانت لامه همزة من الكلمات مذهبان [3] :

الأول: مذهب الخليل والكوفيين: وينصُّ هذا المذهب على أنَّ ما كان مثل (خطايا) و(رزايا)، قد قلبت لامه التي هي همزة إلى موضع ياء (فعيلة)، فالأصل أن يقال في جمع (خطيئة): (خطايِئ)، إلا أنَّه قُدِّمت الهمزة على

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٤٤٤ – ٤٤٥ .

(٢) التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٤٥.

(٣) ينظر: المنصف: ٢ / ٥٥ ـ ٥٦، وشرح المفصل: ٩/ ١١٧ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الياء ؛ لئلا يؤدي إلى إبدال الياء همزة، كما تبدل في (صحيفة وصحائف) لوقوعها قبل الطرف بحرف؛ لأنَّ ما قبل الطرف بحرف يجري مجرى الطرف في الإبدال، فلو لم تقدم الهمزة على الياء في (خطايئ) لأدّى ذلك إلى اجتماع همزتين، فتصير على ذلك (خطائِي) فأُبدِلت الكسرةُ فتحةً، وأُبدِلت الياءُ ألفاً فصارت (خطاءَا) فصارت الهمزة بين ألفين، والألف قريبة من الهمزة، فقُلِبت الهمزة ياءً فراراً من اجتماع الأمثال، فصارت (خطايا) على وزن (فَعَالى) .

الثاني: مذهب جمهور البصريين: وينصُّ هذا المذهب على أنَّ (خطايا) و(رزايا) وزنها (فعائل)؛ وذلك أنَّ (خطيئة) وزنها (فعيلة) وما كان على هذا الوزن يجمع على (فعائل)، فالأصل فيها أن يقال: (خطايئ) ثم أُبدلت الياء همزةً، كما أُبدلت في (صحائف) فصارت (خطائِئ)، فاجتمعت همزتان فقلبت الثانية ياء ؛ مناسبة للكسرة قبلها فصارت (خطائي)، ثم أبدلت الكسرة فتحة، وأبدلت الياء ألفاً، فصارت (خطاءا) ثم أبدلت الهمزة ياءً لتوالي الأمثال، فصارت (خطايا) .

أما كمال بشر فيرى أن المشكلة تكمن في اهتمام الصرفيين التقليديين الكبير بالأصول الاشتقاقية للكلمات، وافتراضهم وجوب وجود هذه الأصول في كل الصيغ المتفرعة عنها، فعدم وجود الهمزة في جمع (خطيئة) إنما كان لعارض عرض لها بحسب تصورهم، فتكلفوا في توضيح هذا العارض [١] .

ويرى أن تفسير هذه المسألة يكون عن طريق المنهج الوصفي، وبصورة أيسر مما طرحها القدماء، قال: «على أن المسألة أيسر من هذا بكثير: كلما وجدت الهمزة فهي همزة، وإلا فالموجود بالفعل هو الذي يؤخذ في الحسبان، أيًّا كانت صورته

(١) ينظر: دراسات في علم اللغة: القسم الثاني: ٢٧ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الصوتية»[1] .

رابعًا: حذف الهمزة في نحو (خُذ) وبابه:

ذهب الصرفيون القدماء إلى أن الأفعال (خُذ، وكُل، ومُر) شاذة مسموعة لا يقاس عليها لخروجها عن نظائرها وأن القياس فيها (أؤخذ، أؤكل، أؤمر) وحذفت الهمزة التي فاء الفعل تخفيفًا لاجتماع الهمزتين لكثرة الاستعمال، قال ابن يعيش: «إلّا أنّه شذّ من هذا ثلاثةُ أفعال تُسْمَع، ولا يقاس عليها لخروجها عن نظائرها، وهي: «خُذ»، و«كُلْ»، و«مُرْ»، والقياس: «اُؤْخُذْ»، «اُؤكُلْ»، «اُؤْمُرْ»، فحذفوا الهمزة التي هي فاء؛ تخفيفًا لاجتماع الهمزتين فيما يكثر استعمالُه، فحينئذ استُغني عن همزة الوصل لزوال الساكن وتحرُّكِ ما يُبتدأ به، وهو الخاء في «خُذْ»، والكاف في «كُلْ»، والميم في «مُر»، فحذفوها، ووزنُه من الفعل «عُلْ» محذوف الفاء. ولزم هذا الحذفُ لكثرة هذه الكلم «[2].

أما عند كمال بشر فحذف الهمزة ظاهرة صرفية لا صوتية تقتضيها بنية الصيغ في هذه الأفعال، فافترض أن تطورًا لحق بهذه الصيغ ونحوها، وأنها كانت تنطق (أؤخذ، وأؤكل، أؤكل) ثم تطورت بعد ذلك إلى صيغتها الحالية [3] .

ولم يخرج كمال بشر في تفسيره لهذه الظاهرة في هذه الأفعال عمّا قاله القدماء فيها، بل إن تعليلهم لها كان أقرب للواقع؛ إذ قالوا: إن سبب حذف الهمزة فيها إنما كان لأجل تخفيفها لكثرة استعمالها. فبذلك حددوا السبب في شذوذ هذه الأفعال وتطورها دون غيرها من الأفعال التي في بابها .

خامسًا: همزة صحراء :

ذهب الصرفيون القدماء إلى أن همزة «صحراء» ليست أصلية، وإنما هي منقلبة

(١) المصدر نفسه: ٢٧ .

(٢) شرح المفصل: ٩ / ١١٥ .

(٣) ينظر: دراسات في علم اللغة: القسم الثاني: ١٢٧ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

من ألف التأنيث التي في نحو «حبلى» و«بشرى»، قال ابن جني: «وينبغي أن يعلم أن هذه الهمزة إنما هي منقلبة عن ألف التأنيث التي في نحو «حبلى، وبشرى»، ولكنها لما وقعت بعد ألف قبلها زائدة، وجب تحريكها لئلا يلتقي ساكنان فقلبت همزة. وهذا مذهب سيبويه وهو الصحيح. ويدل على صحته، وأن هذه الهمزة منقلبة عن ألف التأنيث المفردة، أنك إذا أزلت الألف من قبلها بقلبها، خرجت هي عن الهمزة. وذلك قولهم في جمع «صحراء: صحارِي»، فهذه الياء الأولى المدغمة هي الألف التي كانت قبل الهمزة في «صحراء» انقلبت في الجمع لانكسار ما قبلها، كما تنقلب في جمع مفتاح وغِرْبال إذا قلت: مفاتيح، وغرابيل. فلما انقلبت الألف إلى الياء انقلبت علامة التأنيث التي كانت بعدها في «صحراء» ياء؛ لوقوع الياء المنقلبة عن الألف قبلها. وذلك قولك: صحاريّ، وزالت الهمزة لزوال الألف الموجبة لها من قبلها. فلو كانت الهمزة في «صحراء» غير منقلبة، لم يلزم انقلابها في الجمع، كما أنك لو جمعت «قُرّاء» لقلت: «قَرَارِئ»، وكما قالوا في جمع كوكب دُرِّيء: «دَرَارِئ» لما كانت الهمزة أصلا غير منقلبة. فقولهم: «صحاري» بلا همز، دلالة على أن الهمزة في «صحراء» منقلبة، إذ لو لم تكن منقلبة لوجب أن تقول: صحارئ كما قالوا: درارئ وإذا ثبت أنها منقلبة في «صحراء»، فيجب أن يكون انقلابها عن الألف التي في مثل «حبلى»»[١].

يرى كمال بشر أن هذه المسألة وأمثالها نوع من الافتراض الجدلي يعجز الدارسين عن التحصيل والالمام بالقواعد، وهو خالٍ من أية فائدة عملية على أي مستوى من مستويات البحث في اللغة [٢]، وفي رأيه أن الكلام في هذه المسائل « نوع من الترف العلمي الذي لا نستطيعه في وقتنا

(١) المنصف: ١ / ١٥٥ - ١٥٦ .

(٢) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٣٦ .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

هذا، ونوع من شغل الوقت وقتل الفراغ بقطع النظر عن أية نتائج عملية، أو قل إن البحث في هذه القضايا ونحوها نتيجة من نتائج الإغراق في الافتراض بدافع إظهار البراعة في الجدل وإرضاء لنزعات مذهبية»[١].

على أنه يرى أن هذه المسألة ومثيلاتها يمكن أن تعالج بشيء من التسامح معالجة تاريخية، إذا كانت هذه الصيغة قد نُطِقت في فترة ما من تاريخ العربية «صحارئ» بالهمز ثم أصابها التطور والتغيير على مرِّ الزمن [٢] .

سادسًا: الفعل المضارع المؤكد المسند إلى ضمير الجماعة:

ذهب الصرفيون القدامى إلى أن الفعل المضارع المؤكد المسند إلى ضمير الجماعة تحذف نون الرفع فيه لتوالي الأمثال، ثم يلتقى ساكنان (الواو والنون المشددة)، فتحذف الواو وتبقى الضمة دليلاً عليها [٣].

ولم يرتضِ كمال بشر ما ذهب إليه الصرفيون التقليديون ؛ فهو يرى أن النون المشددة هي نون الرفع ونون التوكيد الخفيفة ؛ إذ من المستحيل وقوع النون الثقيلة هنا، لاستحالة توالي ثلاثة امثال في اللغة العربية، فطبيعة التركيب المقطعي تمنع هذا السياق (ص + ح ح + ص) إلا في الحالتين المشار إليهما سابقًا [٤] .

أما الفاعل (الواو) فلا يرى أنها قد حُذِفت، وإنما قُصِّرت إلى حركة قصيرة (ضمة)، إذ لا يمكن حذف الواو وهي الفاعل [٥] .

نتائج البحث :

- يختلف مفهوم الصرف عند كمال بشر عنه عند الصرفيين ؛ فالصرف عنده

(١) المصدر نفسه: ٤٣٦ .
(٢) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٣٦ - ٤٣٧ .
(٣) ينظر: شرح المفصل: ٩ / ٣٧ .
(٤) ينظر: التفكير اللغوي بين القديم والجديد: ٤٤٧ .
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٤٤٧ .

كل تغيير في المفردة أدى إلى تغيير في المعاني النحوية .

- يرى كمال بشر أنه من غير الممكن دراسة الصرف بمعزل عن النتائج التي يوفرها علم الصوت، وأن الصرف ممهد لدراسة النحو لا غاية مستقلة بذاتها .

- قسم كمال بشر الصرف التقليدي على أربعة أقسام: مسائل من صميم الصرف - مسائل أولى بمتن اللغة منها بالصرف الحقيقي - مسائل أقرب إلى ميدان علم الصوات منها إلى الصرف - أبواب في الصرف التقليدي عولجت علاجًا غير دقيق .

- ذهب كمال بشر إلى أن تقسيم جموع التكسير إلى أوزان قلة وكثرة إنما هو من صنيع النحويين أنفسهم ولم تصطلح عليه العرب .

- رفض كمال بشر مبدأ الأصل الافتراضي الذي سار عليه الصرفيون القدماء في اخضاعهم الأمثلة التي لا توافق قواعدهم .

- نادى كمال بشر بمبدأ (تعدد الأنظمة) في دراسة المسائل الصرفية، واطّراح مبدأ (توحد الأنظمة) الذي كان يستعمله الصرفيون التقليديون .

- يرى كمال بشر أن الأفعال الجوف والناقصة يمكن أن تُبحث عن طريق المنهج الوصفي، أو التاريخي، أو المنهج التوليدي التحويلي، وأضاف منهجًا رابعًا جمع فيه جميع هذه المناهج وأشرك معها منهج الأصل المفترض الذي سار عليه الأقدمون، وهذا يعد نقضًا لما دعا إليه من اطّراح مبدأ الأصل المفترض .

- يرى كمال بشر أن الإبدال في فاء «افتعل» ونحوها يمكن أن يبحث من طريقين: وصفي صوتي، وتاريخي .

- يرى أن مسألة إبدال الهمزة في (خطايا) يبحث فيها باستعمال المنهج الوصفي بعيدًا التأويل والافتراض .

- كان تعليل القدماء لحذف الهمزة في (خذ، وكل، ومر) أقرب إلى الواقع من تعليل كمال بشر ؛ إذ عزوا هذا الحذف

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

لكثرة استعمال هذه الأفعال، أما كمال بشر فيرى أنها ظاهرة صرفية لا صوتية، وافترض أن هناك تطورًا لحق بهذه الصيغ.

- يرى كمال بشر أن مسألة همزة (صحراء) وما أشبهها ينبغي أن تلغى من الصرف العربي كونها لا تعود بفائدة للدارسين، أو أن تدرس تاريخيًا .

- يرى كمال بشر أن النون المشددة في الفعل المضارع المؤكد المسند إلى ضمير الجماعة إنما هي نون الرفع ونون التوكيد الخفيفة، وأن الفاعل (الواو) لم يحذف وإنما قُصِر ضمة قصيرة .

-

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- أبنية الصرف في كتاب سيبويه: الدكتورة خديجة الحديثي، مكتبة النهضة، بغداد، ط١: ١٩٦٥ .
- أُسس علم اللغة العربية: د. محمود فهمي حجازي، دار الثقافة للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م .
- الأصول في النحو: ابن السرّاج (أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي)، ت: ٣١٦هـ، تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط٣: ١٩٩٦ م .
- التصريف الملوكي: ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي)، ت: ٣٩٢هـ، تحقيق: محمد سعيد بن مصطفى النعسان الحموي، مطبعة شركة التمدن الصناعية ـ مصر، ط١: ١٩١٣م .
- التعبير القرآني: الدكتور فاضل صالح السامرائي، مكتبة رشيد الهجري ـ بغداد، ٢٠١٣م .
- التفكير اللغوي بين القديم والجديد: د . كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة، ٢٠٠٥م .
- دراسات في علم اللغة / ق١: د. كمال محمد بشر، دار المعارف، ط٩: ١٩٨٦م .
- دراسات في علم اللغة / ق٢: د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة، ١٩٩٨ م .

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

- دقائق التصريف: ابن المؤدِّب (أبو القاسم بن محمد بن سعيد) ت: بعد سنة (٣٣٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر للطباعة، ط١: ٢٠٠٤م .
- شرح المفصَّل: ابن يعيش (موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي)، ت: ٦٤٣هـ، علق عليه وضبط حواشيه مجموعة من شيوخ الأزهر، طبع ونشر الطَباعة المنيرية ـ مصر .
- شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي، ت: ٦٨٦هـ، تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٩٨٢م .
- شرح كتاب سيبويه: السيرافي (أبو سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان)، ت: ٣٦٨ هـ، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ط١: ٢٠٠٨م .
- العربية بين الوهم وسوء الفهم: د. كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر – القاهرة، ١٩٩٩ م .
- علم الأصوات: الدكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر ـ القاهرة، ٢٠٠٠م .
- علم الصرف الصوتي: د. عبدالقادر عبدالجليل، سلسلة الدراسات اللغوية: ١٩٩٨ م .
- الكافية في علم النحو والشافية في علمي التصريف والخط: ابن الحاجب (جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر) ت: ٦٤٦هـ، تحقيق: د. صالح عبدالعظيم الشاعر، مكتبة الآداب ـ القاهرة .
- كتاب سيبويه: سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر)، ت: ١٨٠هـ، تحقيق: د. عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣: ١٩٨٨م .
- لسان العرب: ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري)، ت: ٧١١هـ، دار صادر ـ بيروت: ط٣: ١٤١٤هـ .

• مفتاح العلوم: السَّكّاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي)، ت: ٦٢٦هـ، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ـ بيروت / ط٢: ١٩٨٧ م .
• المفتاح في الصرف: الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن بن محمد) ت: ٤٧١هـ، تحقيق: د. علي توفيق الحمد، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٩٨٧م .
• الممتع في التصريف: ابن عصفور (علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي الأشبيلي)، ت: ٦٦٩هـ، تحقيق: د. فخرالدين قباوة، دار المعرفة ـ بيروت، ط١: ١٩٨٧م .
• مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة: د. حسن هنداوي، دار القلم ـ دمشق، ط١: ١٩٨٩ م .
• المنصف (شرح كتاب التصريف للمازني): ابن جني (أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي)، ت: ٣٩٢هـ، تحقيق: إبراهيم مصطفى، ومحمد أمين، إدارة إحياء التراث القديم، ط١: ١٩٥٤م .
• الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، ت: ٣٨٤ه، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٩٩٥م .